

الباب السابع

صناعة الضحك

ويتضمن الموضوعات التالية :

- طرق الاضحاك
- وظيفة النكتة السياسية
- سوسيولوجيا النكتة السياسية
- الاضحاك فى السينما والمسرح
- الاضحاك وصناعة النكتة

obeikandi.com

وظيفة النكتة السياسية

تعد النكتة السياسية احدى السلوكيات التي كان لها حضور في حياتنا منذ فترات طويلة فالنكتة حكاية بسيطة وقصيرة تقوم بوظيفة اجتماعية من خلال نقد أحداث معينة تجري في المجتمع ولكن حسبما حددت العديد من الدراسات العلمية معايير معينة في عنصر السرد وفنه وتخلله بعض المفارقات وبشكل غير مباشر وفيها غموض بسيط تجنب السارد لها مصيراً غير محمود من قبل السلطات ومبتوثة في كل مكان وهذه سمات لصيقة بالنكتة السياسية واذا انتفت هذه السمات تفقد النكتة محتواها وتغدو حديثاً وسرداً مباشراً بلا أي تشويق والنكتة بشكل عام أمر اجتماعي إيجابي في المجتمعات المفتوحة عندما تكون فسحة للراحة من هموم الحياة وراحة للأعصاب لهذا نرى ان بعض الفلاسفة في العصر الحديث مثلاً ومنهم الفيلسوف الفرنسي بيرجسون كان يقوم عند القاءه احدى المحاضرات بأن يفتتح محاضرتة بألقاء نكتة امام الحضور من الجمهور فتضج القاعة بالضحك بعد سماعهم لها مما يؤدي إلى خلق جو من الراحة والانعاش النفسي للجمهور وتهينة الذهن لاستقبال المحاضرة وهذا ما كان يبغيه الفيلسوف بيرجسون عند إلقاءه للنكتة وفي الحقيقة أن النكتة قديمة قدم وجود الإنسان وتأمله للحياة فالنكتة وأشد أنواعها شيوعاً النكتة السياسية التي ترافقت مع الانسان وانتعشت خاصة في المجتمعات التي شهدت استبداداً سياسياً وتضييق في حرية التعبير ولهذا

يقال إن مواطني الاتحاد السوفيتي في الحقبة الشيوعية كانوا أكثر البلدان تداولاً للنكتة وتفريغ الرغبات المكبوتة من خلالها لأفراد المجتمع الذين كانوا لا يستطيعون البوح بمكونات الداخلية من آراء سياسية لأنها كانت مرفوضة من قبل النظام السياسي القائم آنذاك وفي الحقيقة إن النكتة السياسية لم تغب عن عالمنا العربي الذي تقاسمت بلدانه سمة الاستبداد السياسي وانعدام وجود حرية التعبير منذ فترات طويلة بسبب الديكتاتورية المتجذرة في بنيتها السياسية والاجتماعية بشكل عميق وهذه البيئة ملائمة جداً لانتشار النكتة السياسية ويكاد يكون أفراد البلدان العربية أكثر أفراد الشعوب اليوم تداولاً للنكتة نتيجة للواقع الموضوعي البائس في كل الميادين ووجود النكتة السياسية كما اسلفنا هو أمر طبيعي في مجتمع مكبوت ولقد عرفنا ما يطلق عليه الباحث حسنين ابراهيم توفيق بالعنف اللفظي عبر توظيف النكتة السياسية وممارسة العنف اللفظي الذي يردده أفراد المجتمع ترديد أعمى من غير إدراك المرامي السيئة التي تعمل عليها السلطة آنذاك للترقية بين أبناء الشعب الواحد فهذا ينتمي إلى طائفة كذا وهذا ينتمي إلى أصول غير عربية وذلك يتسم بالبلاهة لأنه ينتمي إلى فئة معينة الأمر الذي عزز مفاهيم العنف الخفي ولكن غير الطافي على السطح لأسباب عديدة ولكنه فعل فعله السيئ على مستوى الذات أو مستوى المجتمع وكم رأينا في الفضائيات العربية التي تعود ملكيتها إلى حكام وأمراء عرب من البرامج

والمسرحيات التي تنتج لنا مشهداً وخطاباً فنياً وإعلامياً سلبياً ومرفوضاً في السخرية من بعض فئات الشعب والمجتمع والأكثر مفارقة أن الجمهور يضحك على ذلك ولا يعرف أنه يضحك على ذاته وأصبحت أداة في يد السلطة في تمزيق وحدة المجتمع بدلاً من أن تصبح أداة واعية لتعرية السلطة وأهدافها البغيضة وتكثفت المفارقة بعد إتمام السيطرة على المجتمع من خلال هذه الآلية التي أشعرت السلطة ووهبتهم شعور زائف بتضخم الذات بدأت مرحلة جديدة بنوع آخر من النكت السياسية في حياة المجتمعات العربية تتمثل بحاكميها الذين يثبتون لنا يوماً بعد آخر أن النكتة السياسية ومفارقاتها مستمرة ولكن هذه المرة من خلال قمة الهرم السياسي للأنظمة وشخصياتها التي لا يكاد ينطبق عليها أي توصيف علمي أو أكاديمي وتمثل خروج عن أي تعقل سياسي أو اجتماعي في سلوكها السياسي وطرق تسيير شؤون الأمة بلا أي تخطيط حقيقي وعميق وغالباً ما يقوم على ردود فعل شخصية أكثر منها موضوعية وثمة شواهد عديدة في هذا المجال ومنها مثلاً النموذج الناصري عندما عبر الرئيس المصري جمال عبد الناصر أنه سوف يرمي الصهاينة في البحر فإذا به يمني بأنفس هزيمة في حرب ١٩٦٧ أو دعوات الوحدة العربية لنظام القذافي ولا يرتضي بديلاً عن فكرة الوحدة في إقامة العلاقة بين نظامه وباقي أنظمة الدول العربية وإذا به أكثر الزعماء تحطيماً لفكرة الوحدة ولم تنجح أو تعمر أي وحدة أقامها

مع باق الدول العربية وعاد اليوم كافراً بالوحدة العربية التي كانت يوماً قبلته وتبرأ من العرب ناعثاً إياهم بدول وأنظمة ميتة ويتجه إلى القارة الأفريقية .

سوسيولوجيا النكت

تمثل التعبيرات الرمزية والمخزون الثقافي الاجتماعي إحدى الركائز الأساسية لفهم المجتمعات والجماعات الإنسانية ودراستها، فمن جهة يمكن اعتبارها مرآة صادقة لما تحمله من قيم ومعتقدات وممارسات و من جهة أخرى تكشف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن الجوانب الخفية والحقيقية للمجتمع المدروس سواء أكانت في شكل مواقف أو تطلعات أو رغبات مكبوتة وذلك لتوفر عناصر التلقائية والدلالية للتعبير والرموز الثقافية خاصة لارتباطها بالواقع الاجتماعي وفي هذا الإطار تنتزل النكت السياسية والشعبية كأحدى أهم تلك التعبيرات الثقافية المنتشرة في المجتمعات العربية وأبرزها متزامن مع مختلف المراحل التاريخية التي مر بها.

وبالتالي فإن دراسة هذه النكت من شأنها أن تكشف لنا عن أهم تطلعات المجتمع العربي ورغباته وانتقاداته أو بمعنى آخر يمكن للنكت السياسية والشعبية المنتشرة أن تكشف لنا عن نوعية التفاعل والعلاقات

التي تربط المواطن بذاته وبالأخرين وجملة الإنتقادات الكاريكاتورية الموجهة لهما ، كما تلعب تلك النكت العديد من الوظائف كالتسلية والتواصل والنقد والمحافظة على التوازن الاجتماعي وتجسد مختلف والصراعات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تعيشها البلاد.

مكونات الخبر الفكاهي

لقد احتل القصص الفكاهي، كالنوادر والملح والطرائف، مكانة بارزة في التراث العربي وكما عرفت الأمم الأخرى القصص الفكاهي، فقد عرف العرب هذا اللون من القصص منذ العصر الجاهلي، حيث كان ينقل شفاهة بين عامة الناس، الأمر الذي ساعد على انتشاره انتشاراً كبيراً وكان لبعض القبائل في العصر الجاهلي ما يسمى بمضحك القبيلة، وهو شخصية شعبية تشيع جواً من الضحك والمرح بين أبناء القبيلة وشيوخها كما كانت هناك مضحكة القبيلة التي تدخل على النساء فتضحكن كما وردت السخرية في الشعر الجاهلي أيضاً بشكل محدود. وعند ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم وردَ كثيرٌ من الآيات القرآنية التي تحمل معاني السخرية والهزء والضحك والاستخفاف في مواضع كثيرة كما وردَ كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة في ضحك الرسول وتبسّمه .

تعريف الخبر الفكاهي:

قديماً أطلق علماء البيان والأصوليون والمنطقيون والمتكلمون وغيرهم لفظ الخبر على الكلام التام غير الإنشائي، وهو ما يعنينا هنا، إذ لا يعنينا مفهوم الخبر عند النحاة، وأنه المجرد المسند إلى المبتدأ، كما لا يعنينا هنا أيضاً تعريف أهل الحديث للخبر، وهل هو مرادف للحديث النبوي أم أن الخبر أعم منه .

فن صناعة الضحك في السينما

الضحك صناعة تستلزم من مفكرها مجهوداً كبيراً لأنها يشترط فيها الخبرة والنبوغ حتي لا تتشابه اللقطات التي يقدمها مخرجوا السينما خاصة في مواقفها فيضعف أثرها في النفس البشرية والضحك يحتاج من مفكره أفكاراً جديدة تحتاج في استنباطها إلي علم تام بما في داخل النفس البشرية وما يتأثر به ويمكننا أن نتصور ما تمتاز به الأفلام السينمائية المضحكة من حدة في الذهن وتوقد في القريحة حتي يقدموا في الأفلام المواقف التي يكون لها أثرها المطلوب في نفس المشاهدين ولفن الاضحاك أسسه وقواعده التي يتم مراعاتها عند اختيار أو ابتكار المواقف المضحكة وأهم ما يجب توافره هو أولاً المفاجأة فنحن إذا شاهدنا مشهداً لشخص أمام أسد مثلاً فإنه يرتعش حيث فوجيء بذلك فلا يتمالك الإنسان نفسه من الضحك بدلاً من الإسفاف عليه وثانياً إيقاع شخص معين في مأزق حرج يدعو إلي ارتبائه وتورطه فلا يجد

المشاهد مجالا إلا أن يضحك وثالثاً البؤس والشقاء يجتمعان في رجل سييء الحظ يلزمه طوال حياته فهو لا يهنأ في حبه ولا هو يتمتع بحياته ولكل مضحك طريقته في الأداء فمثلاً شارلي شابلن فانك لا تكاد تراه بملابسه الغريبة المكونة من قبعته المكورة وبدلته البالية وعصاه المعلقة وحقائنه الخالد حتي تغرق في الضحك ونجيب الريحاني مثلاً الذي يتقبل نكبات الدنيا ومصائبها وهو صامد لها ويستعمل أفراسها ومسراتها بعد اكتراث حيث يبدي عنده حالات البؤس وحالات الهناء حيث تضحك منه إلي حد الإغراق وفنانون كثيرون سواء في السينما العالمية مثل لوريل وهاردي وفي السينما المصرية إسماعيل يس وعبد الفتاح القصري وعبد المنعم إبراهيم وحسن فايق وعبد السلام النابلسي لأن كل منهم له أسلوبه وطريقته في إضحاك الناس ويكفي النجاح الذي نالوه من خلال الجماهير وتعتمد صناعة الضحك علي المبتكر وأعني المؤلف الذي يرسم للفنان الشخصية الكوميديّة التي يقدمها مثل أمين صدقي وأبو السعود الأبياري والسيد بدير وعلي الزرقاني وغيرهم من كتاب الكوميديا الذين أسعدوا الجماهير بما قدموه في كتاباتهم من مواقف كوميدية ولأن الضحك فن جماعي فإن هذا يحتاج إلي مجموعة لمشاهدة المواقف الكوميديّة حتي يضحكوا .

لذلك عندما يري الإنسان الفيلم علي شاشة السينما فإن الضحك عنده يختلف عندما يشاهد نفس الفيلم علي شاشات التلفزيون فهو يشهده في

السينما مع جماعة أما عندما يشاهد نفس الفيلم علي شاشة التلفاز فإن الانفعال يختلف عنده عن السينما ومحصلة القول أن صناعة الضحك تهاوت في السنوات الأخيرة وسببها عدم وجود مفكرين يقومون بصناعة الضحك وأيضا عدم وجود ممثلين موهوبين كما كان في الماضي ليقدموا المواقف الكوميديّة الساخنة .

المصادر والمراجع

- ١ - الضحك فلسفة وفن - جلال العشري .
- ٢ - الضحك.. البحث في دلالة المضحك - هنري برجسون - ترجمة سامي الدروبي، عبد الله عبد الدايم.
- ٣ - ،حاسة الدعابة لدى طلاب الجامعة - بدرية كمال .
- ٤ - السخرية في الأدب العربي- نعمان محمد أمين طه .
- ٥ - سيكولوجية الفكاهة والضحك- زكريا إبراهيم .
- ٦ - الحيوان- الجاحظ .
- ٧ - البخلاء -الجاحظ .
- ٨ - الفكاهة والضحك رؤية جديدة -المؤلف :شاكر عبد الحميد
- ٩ - الطب النفسي والحياة - د. حسان المالح .
- ١٠ - النكت في صعيد مصر - بانسيه مصطفى حسان .
- ١١ - الحد بين الهزل والجد - بو علي ياسين .
- ١٢ - النكتة السياسية علي حمودة .